تَعَدُّدِيَّةُ المزَاوَجَاتِ اللَّفْظِيَّةِ القُرْآنِيَّةِ فِي الشِّعْرِ العربيّ
مقاربةٌ فِي أُسْلُوبيَّة التَّأويل
Multiplicity of Qur'anic Verbal Pairings in Arabic Poetry
An Stylistic-Interpretive Approach

د. محمَّد أحمد محمَّد السنوسي
Dr. Mohammad Ahmad Mohammad Al-Sanusi
أستاذ الأدب والنقد المشارك بقسم اللغة العربيَّة - جامعة عمر المختار
Associate Professor of Literature and Criticism, Department of Arabic Language, Omar Al-Mukhtar University
mohammedahmed@omu.edu.ly

الملخص

يسعى هذا البحث إلى دراسة تعدديَّة المزاوجات اللفظيَّة القرآنيَّة في الشعر العربي، في مقاربة أسلوبيَّة تأويليَّة، حيثُ نشطت المزاوجات اللفظيَّة القرآنيَّة في صياغات الشعر العربي، طبقًا لاعتبارات وغاياتٍ عدَّة؛ يأتي في بدايتها الإعجاز البلاغي لتلك المزاوجات في صياغتها الأصوليَّة القرآنيَّة، ثمَّ إمكاناتها البلاغيَّة في نشاطها التأثيري بالتوظيف الشعري لها، ثمَّ يأتي بعد ذلك تميّزها الإيقاعي والموسيقي الداخلي والخارجي وكونها صياغة جاهزة إيقاعيًّا، ذلك علاوة على تميُّزها الأُصولي في نشاطها الإشاري أو الدلالي تبعًا (لأيدلوجيَّة) التَّوظيف.

Abstract:

This study examines the multiplicity of Qur'anic verbal pairings in Arabic poetry through a stylistic interpretive approach. These Qur'anic verbal pairings have actively appeared in the formulations of Arabic poetry according to various considerations and aims. At the outset comes the rhetorical miraculousness of these pairings in their original Qur'anic phrasing. This is followed by their rhetorical potential in their persuasive/effect-oriented activity through poetic employment. Next, their rhythmic and musical distinctiveness emerges—both internal and external—along with the fact that they constitute rhythmically "ready" poetic formulations. In addition, their Qur'anic-structural specificity is also highlighted in their indicative or semantic activity, depending on the (ideological) orientation of the employment.

استلام الورقة: 16-02-2026 - قبول الورقة: 24-02-2026 - نشر الورقة: 02-03-2026

الكلمات المفتاحية : : أسلوبيَّة التأويل، الشعر العربي، المزاوجات اللفظيَّة القرآنيَّة

Keywords : : stylistics of interpretation; Arabic poetry; Qur'anic verbal pairings.

المقدمة:

تتبلور صورة القرآن الكريم كموروثٍ له خصوصيّته وتميزه، في كونه مثيرًا جماليًّا، فنيًّا وتصويريًّا، ولُغويًّا وأُسلوبيًّا، حيثُ يمتدُّ تأثيره ليُصبح تأثيرًا عامًّا على الأدب العربيّ قاطبة بإبداعاته الفنيَّة المختلفة في مجالات الشعر والقصَّة والمسرحيَّة والإبداعات النقديَّة، ويمتدُّ هذا الإبداع العام أيضًا إلى حيثُ تأثيره على الشعر العربي الحديث.

وانطلاقًا من ذلك، وقع اختيار الباحث على دراسة تعدديَّة المزاوجات اللفظيَّة القرآنيَّة في الشعر العربي، في مقاربة نقديَّة أسلوبيَّة تأويليَّة؛ فالمزاوجات اللفظيَّة القرآنيَّة في تعدُّديَّتها تتفوَّقُ بلاغيًّا ودلاليًّا في كونها عنصرًا مشتركًا في التجربة الإبداعيَّة-عند توظيفها- بين كلٍّ من المبدع والمتلقي، بما يؤدي إلى الوصول للمعنى الدلالي والإيحائي من أقرب وسائله الإشاريَّة.

وقد سعى الباحث للاطلاع على البحوث والدراسات التي تناولت تعدديَّة المزاوجات اللفظيَّة القرآنيَّة في الشعر العربيّ من النَّاحية الأسلوبيَّة التأويليَّة، ولكن من خلال التقصي لم يُعثر على بحوث ذات علاقةٍ مباشرة بصلب الموضوع، عدا بعض الدراسات التي عنيت بالمزاوجة اللفظيَّة القرآنيَّة في القرآن الكريم، والمتصاحبات اللغويَّة وتطبيقاتها في تعليم العربيَّة، والمزاوجة اللفظيَّة العربيَّة، والمتلازمات اللفظيَّة، وغيرها من الدراسات التي لم تربطها بالشعر العربي ومقاربتها أسلوبيًّا وتأويليًّا، وهذه هي الإشكاليَّة الكبرى التي يسعى الباحث لأن يُميطَ عنها اللّثام من خلال هذه الدراسة.

وقد فرضت طبيعة الموضوع المدروس حضور المنهج النَّقدي (أسلوبيَّة التأويل)، كما اعتمدت الدراسة المنهج البحثيَّ (الوصفيَّ والتحليليَّ)، في إطار التَّحليل الأسلوبي والوصف اللُّغوي.

أمَّا فيما يخصُّ إشكاليَّة الدراسة، فلعلَّ الإشكاليَّة المحوريَّة التي تدور حولها هذه الدراسة هي: مدى فعالية تعدديَّة المزاوجات اللفظيَّة القرآنية وقدرتها على التأثير، ومدى نشاط ظاهرة التوقُّع بإيجابيَّاتها وسلبيَّاتها؟

وللإجابة عن هذه التساؤل قُسّمَت الدراسة إلى أربعة مباحث تسبقها مقدمة وتمهيد، وتتلوها خاتمة، وتفصيل ذلك كالآتي:

المقدمة أُلقِيَ الضَّوء فيها على أهميَّة الموضوع وأسباب اختياره، والتصور العام لإطار البحث وخطَّته، والمنهج المتبَّع فيه.

جاء المبحث الأول بعنوان: مزاوجة الاسم العلم، ويُعنى المبحث الثَّاني بمزاوجة الوصف، ويتناول المبحث الثَّالث مزاوجة الحال، ويعرضُ المبحث الرَّابع: مزاوجة الإضافة.

ثمَّ جاءت خاتمة البحث لتوجز أهم النتائج التي توصَّلت إليها من خلال الدراسة، يليها المصادر والمراجع التي اعتمد عليها البحث.

استهلال تنظيري:

المزاوجة اللفظيَّة القرآنيَّة هي صيغة مركبة تركيبًا مزاوجًا للفظين، وهذان اللفظان هما صيغة قرآنيَّة خاصَّة، وتركيبة جاهزة، يتبع بالضرورة تواجد أحدهما تواجد الآخر، ويحكم الضرورة هنا من عدمها مدى التَّأثير الفعَّال للصيغة المزاوجة في وضعها الصياغي القرآني، وكونها مجرَّد مصاحبةٍ لفظيَّة تخضع لقانون التوقُّع باعتبار ذلك اللَّفظ المصاحب هو أقرب الألفاظ في التبعيَّة للَّفظِ الآخر، ويحكمُ التوقع هنا قانون خاص بأصوليَّة اللفظ القرآني، وليس توقُّعًا مطلقًا لمصاحبة الألفاظ بعضها البعض. ويُعدُّ اللفظ الأول من هذه المزاوجة هو (اللَّفظ الفعَّال)، ويُمكن أن يطلق على الثَّاني (اللَّفظ المصاحب)، والذي قد لا يقلُّ في فعاليَّته عن الأول، إلا أنَّ تميُّزَ الأول في فعاليَّته يجيءُ من كونه يرجع الفضل إليه في حضور المزاوجة، ولولا مبادرة الذهن إليه ما جاء الثَّاني؛ أي- أنَّ الفعاليَّة هنا هي فعاليَّة حضور قبل أن تكون فعاليَّة تأثير.

المبحث الأول: مزاوجة الاِسم العلم

وتتشكلُ هذه المزاوجة من اسمٍ علم، هو اللَّفظ الفعال لحضور المزاوجة، وهذا اللَّفظ يُصاحبه لفظٌ آخر هو اسم علمٍ أيضًا يأتي في أولى درجات التوقُّع لمصاحبةِ ذلك اللَّفظُ الفعَّال، ومن ذلك قول نشأت المصري:

أَطْلُبُ فُرْصَةً أَخِيرَةً
فَجَدَّتِي كَانَتْ تُحِبُ قِصَةٌ مَكْرُورَةٌ:
عَنْ سَبْعِ مَرَّاتٍ سَعَتْ دُمُوعُ الأُمْ

والرَّمْلُ جَمْرٌ سَاخِرٌ أصَمٌّ

بَيْنَ الصَّفَا والمَرْوَةَ

فَانْهَزَمَ الْحَصَا أَبَانَ سِرَّهْ

وَلَيْتَ مِنْهُ قَطْرَةْ

فَخُطْوَتِي لَيْسَتْ تُعَادْ

وَالسَّعْيُ لَيْسَ غَيْرَ مَرَّةْ [المصري، 1979، ص41]

المزاوجة اللَّفظيَّة هنا هي (الصَّفَا والمروة)، وهما علمانِ لجبلَيْنِ، وجاءت هذه الصيغة في موضعٍ واحدٍ بالقرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿**إنَّ الصَّفَا والْمَرْوَةَ من شَعَائِرِ اللَّهِ**﴾ [سورة البقرة: الآية: 158]، وارتباطُ المزاوجة بينَ اللَّفظيْنِ العلميْنِ يرجعُ إلى ارتباطهما بالمعنى القرآني الأُصُولي، في كونِ السعي بينهما شعيرة من شعائر الحجِّ والعمرة، ومن ثمَّ فإنَّ أيَّ توظيفٍ للأُصوليَّة القرآنيَّة لهذيْنِ اللفظيْنِ لا تصحُّ بتواجُدِ أحدهما دون الآخر، وذلك لوقوع المعنى بينهما، ومن ثمَّ يجيءُ توظيفُ هذه المزاوجة ليس على اعتبارها صيغة جاهزة فحسب، وإن صحَّ اتساقها الموسيقيِّ مع موسيقى القصيدة، وصحَّ كذلك حضورها اللفظيَّ الصياغيَّ كصيغةٍ كليَّة لا يكتملُ المعنى إلاَّ بها، فإنَّهُ كذلك تصحُّ فعاليَّتها كمزاوجة قرآنيَّة تعني ما يعنيه المدلول الأُصولي في سياقِ الصياغة القرآنيَّة، ويصلُ الشَّاعر باستخدامها إلى قمَّةِ التعبير البلاغيِّ في صياغةٍ جاهزةٍ، ويرى فيها الشاعر حدًّا لا يُمكن تجاوزهُ، ذلك فضلًا عن تأثير الدلالة الأُصُوليَّة.

ودلالة المزاوجة في السياق القرآني تتعدَّى كونها علميْنِ لجبليْنِ، إلى ما يرتبطُ أصوليًّا أيضًا بلفظيْها من أحداثٍ هي في الواقعِ التي أهَّلتْها لهذه الشَّعيرة، ومن هنا يجيءُ البُعد الآخر للنَّشاطِ اللفظي.

وقد يخرجُ هذا البعد ذلك التأثير من التَّأثير اللفظيِّ، على اعتبار ما يُمكنُ أن يشِي به مضمون اللفظ في وضعه الإشاري إلى واقعةٍ بعينها، وفي الوقت ذاته يؤكد كون هذه الصياغة نشاطًا لفظيًّا من حيثُ توظيف المزاوجة وارتباطها لفظيًّا، حيثُ لا يُمكنُ أن يتَّصلَ الإرسالُ الإشاري بأحدهما دون الآخر، ويتأكد ذلك من نشاط المزاوجة في تأثيرها المُشيرِ إلى الحدثِ الأُصولي، فيبدو وقوع هذه المزاوجة في مجموعةٍ لفظيَّة مصاحبة للفظة (سَعَتْ)، وهي: سبع مرَّات- الرمل- الصَّفا والمروة- الحصا.

وتجيءُ مصاحبةُ المجموعة اللَّفظيَّة للفظِ (سَعَتْ) على اعتبار هذه المصاحبة قرآنيَّة الدلالة بطريقٍ غير مباشرٍ لعدم إتيانِ اللَّفظِ صريحًا في القرآن الكريم، وقوله تعالى: ﴿**فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عليْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا**﴾ [سورة البقرة: الآية: 158]، ينُمُّ عن دلالة لفظِ (يطوف) على السَّعي؛ أي- أنَّ المصاحبة اللَّفظيَّة للفظِ سَعَتْ هي مصاحبة قرآنيَّة لارتباطها بالحدث القرآني، والذي يُشيرُ إلى ذلك السعي، وهي بذلك ليست مصاحبة لفظيَّة مطلقة للفظِ (سَعَتْ).

وهذه المجموعة اللَّفظيَّة الأُصوليَّة ترتبطُ على المحور الشعري المتغاير بعد ذلك بلفظٍ آخر هو (الأم)، والأم كلفظٍ مطلق يُمكنُ أن يأتي مصاحبًا لمجموعةٍ لفظيَّة تتشكَّلُ من ألفاظٍ، مثل: طفل- رضاعة- حنان- فطام، ولكن هذه (الأم) هنا هي أمٌّ خاصَّة، ويحملُ اللفظ المعنى الإشاريَّ إلى (هاجر) أُمُّ (إسماعيل عليه السَّلام)، والتي كانت "ترضع إسماعيل وتشربُ من ذلك الماء، حتى إذا نفدَ ما في السقاء عطشت وعطش ابنها، وجعلت تنظر إليه يتلوى فانطلقت كراهية أن تنظر إليه، فوجدتِ الصَّفا أقرب جبلٍ في الأرض يليها، فقامت عليه ثمَّ استقْبلَتِ الوادي تنظر هل ترى أحدًا، فلم ترَ أحدًا. فهبطت من الصَّفا حتى إذا بلغت بطن الوادي رفعت طرف ذراعها، ثمَّ سعت سعي الإنسان المجهود حتى جاوزت الوادي ثمَّ أتَتِ المروة فقامت عليها، ونظرت هل ترى أحدًا، فلم ترَ أحدًا، فعلتْ ذلك سبعَ مرَّاتٍ". [الزمخشري، 2009، ص156]

ومن ثمَّ فإنَّ الشَّاعر حينما أراد الإشارة إلى القصَّة الأُصوليَّة على لسان الجدَّةِ باعتبارها الرَّاوي المحنَّك الخبير، والذي في الوقت نفسه يُمثلُ الجذور والأصالة، فإنَّهُ أتى بالمزاوجة (الصَّفا والمروة) ضمن مجموعة لفظيَّة مصاحبة للإشارة إلى حادثة إسماعيل (عليه السلام)، وحضانة (هاجر) له، ذلك لتأكيد حضور واقعةِ السعي، ليس بصياغتها الصَّريحة المشار إليها في القرآن الكريم، بل يتجاوز ذلك إلى الدلالة الأُصُوليَّة المصاحبة للحدث الذي أهلها لحكم الله فيها بالأمر بالسَّعي.

وبمعنى آخر فإنَّ مجيء الصياغة القرآنيَّة لهذه المزاوجة في الصياغة الشعريَّة يتجاوز تلك الدلالة الصياغة القرآنيَّة إلى دلالة الحدث المصاحب لها، وليس المعنيُّ بها الإشارة إلى أنَّ (الصفا والمروة) من شعائر الله، أوِ الإشارة –مثلًا- إلى فريضة الحجّ، ولكن تفسير الرَّسول –صلى الله عليه وسلَّم- لهذه الحادثة على أنها علة السعي بين الجبلَيْنِ، يُؤكد التواصل بين المعنى الأُصُولي القرآني والمدلول الإشاري للحادثة، لتُمثل المزاوجة بذلك همزة الوصل ونقطة الإضاءة في حضور الصياغة القرآنيَّة في القصيدة لأداء دورها التأثيري في الوصول إلى دلالة السعي من خلال المزاوجة اللفظيَّة (الصفا والمروة) وحدها، ثمَّ يربطُ بعد ذلك بين السعي وبين تجربته الشعريَّة التي فجَّرتها القصيدة.

والشاعر في صياغته للقصّة قد أسهب في التَّوضيح دون التلميح، ولو أنه أشار إلى هذه القصة بالصياغة القرآنيَّة في صورة المزاوجة (الصفا والمروة) وحدها لكان ذلك كافيًا للإشارة إلى نفس القصَّة التي أسهب في حكايتها للإشارة إلى المعنى، إلَّا أنَّ قوله: (قصَّةٌ مكرورةٌ) دعا الذهنَ الإبداعيَّ لصياغة الحكي لهذه الأحدوثة، ورغم ذلك فإنَّ وقوع المزاوجة اللفظيَّة في صياغة الحكي أوقع عليها مسؤوليَّة فتح مغاليق البنية للتدليل على المعنى الأصولي المصاحب لهذه المزاوجة، وكأنَّما جاء اللفظان العلمان ليُمثلا نقطتا إضاءةٍ في الصياغة باعتبارهما أقرب الألفاظ في المجموعة اللفظيَّة اقترانًا بدلالة الحدث الأصوليَّة، وعليهما فقط تقع مسؤوليَّة الإشارة إلى المعنى.

وخلاصة القول: إنَّ مزاوجة الاسم العلم تتمتعُ في تأثيرها اللفظيَّ القرآنيَّ بكونها صياغة جاهزة إيقاعيًّا، متفوقة بلاغيًّا، تمثلُ عنصرًا مشتركًا في التجربة الإبداعيَّة بين كلٍّ من المبدع والمتلقي في حضوره ظاهرة التوقع القرآنيَّة للَّفظِ القرآني المصاحب، وفوق هذا وذاك الوصول إلى المعنى من أقرب الطرق الإشاريَّة وفق ما يتحمَّلُ اللفظ الأصولي من دلالات إشاريَّة في صياغته الأصوليَّة. ويتحقق بذلك قصد الشاعر في الوصول إلى هدفه في تكثيفِ بنية القصيدة، وكذلك إثراء ألفاظها بمدلولاتها الإشاريَّة والإيحائيَّة، ذلك علاوة على كونها ألفاظًا تحمل خائص اللغة الحيَّة.

المبحث الثاني: مزاوجةُ الوصف

وهي علاقة بين صفة وموصوف في مزاوجة واحدة، أو قد تكون العلاقة بين صفتين في مزاوجة واحدة أيضًا؛ ليصبح التعامل على مستوى المزاوجة هو الذي يحكم التأثير، وفي مزاوجة الصفة والموصوف يقول حسن النَّجَّار:

قُلْتُ هَذَا هُوَ الزَّمنُ العَائِلِيُّ الَّذِي يَشْتَهِي
طَلْعَةَ الْعَاشِقِينَ
تجوَّلْتُ نَاحِيَةَ الظِّلِّ ثُمَّ اخْتَسَيْتُ شَرَابًا طَهُورًا
وَزَاوَرَتْهُ الْمَلِكَ الطِّفْلَ فِي غفْلَةٍ
مِنْ نِسَاءِ النَّحَارِيقْ
أَسْلَمْتُهُ قَمَرًا نَاعِمًا وَكِتَابًا مُبِينْ
وصلَّيْتُ فِي بَهْوِهِ الآمنُ .. اخْتَطَفَتْنِي الرُّؤى
ثُمَّ أَلْقَتْ عَلَى جَسَدِي شَعْرَةٌ مِنْ ظَفَائِرِهْ،
إنَّهَا لَيْلَةٌ لَا تُجَارَى ...! [النجار، 1985، ص86]

المزاوجة (شرابًا طهورًا)، وجاءت في قوله تعالى: ﴿**وَحُلُّواْ أَسَاوِرَمِنْ فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا**﴾ [سورةُ الإنسان: الآية: 21]، ويجيءُ اللفظُ (شرابًا) في الصياغة الشعريَّة على نفس حالته الأصوليَّة من حيثُ نصبه على المفعوليَّة، ومن حيث كونه نكرة يُمكن للشاعر التوقف عنده ليصيرَ لفظًا مطلقًا خارجَ نطاقَ الأُصوليَّة، إلَّا أنَّ الصياغة الشعريَّة استدعت اللفظ المصاحب من صياغته القرآنيَّة الوحيدة، ليحدث بذلك تحقيق التوقُّع لحدوث المزاوجة، وفي نفس الوقت يقوم ذلك اللفظ المصاحب بتحقيق التعريف للفظ (شرابًا) النكرة عن طريق الوصف، ثمَّ يأتي بعد ذلك دور الصفة، حيث يتحقق النَّشاطُ الفعال للمزاوجة، ويأتي الحضور الدلاليَّ لشرابِ أهل الجنَّة الطهور الخالي من الدَّنس، "أو لأنَّه لم يُعصر فتمسّهُ الأيدي الوضرة، وتدوسه الأقدام الدَّنسة، ولم يجعل في الدنان والأباريق التي لم يُعنَ بتنظيفها" [الزمخشري، مصدر، سابق، 1167]، وذلك تتمَّة لعطاء الله لأهل الجنَّة بما فعلوا، وتلك الجزئيَّة من العطايا –شرابًا طهورًا-

تتميَّزُ عن غيرها في كون السقاية ليست بفعل أهل الجنَّة، أو بأدنى مشقَّةٍ منهم، بينما من يسقيهم هو الله تعالى، لتحمل المزاوجة قيمة أسلوبيَّة جديدة بإشاراتها إلى مكونات الصياغة الأصوليَّة لم يدخل مع المزاوجة في الصياغة الشعريَّة، ومن ثمَّ يُمكن تفهم الدلالة الأُصوليَّة للمزاوجة على هذا الأساس.

ثمَّ يجيءُ فعل الاحتساء في الصياغة الشعريَّة مقابل السياقة الأصوليَّة، فيُشيرُ إلى وقوع الحدثِ على التراخي، ثمَّ هو بفعل الإنسان، وفي نفس الوقت يدلُّ على قلَّة ما ناله من ذلك الشَّراب الطهور، فالبونُ شاسعٌ بين صياغة تُشيرُ إلى العطاء، وأخرى تنشدُ تحقيقه على سبيل الأمنية، وتحمل الصياغة الشعريَّة في: الزمن العائلي- طلعة العاشقين- الظل- شرابًا طهورًا- صلِّيت- الآمن- ليلة لا تجارى، فالإشارة إلى الصفاء والنَّقاء والتصوف ولحظة الخلاص الوجداني والروحي إلى إفراغِ تلك الشحنة الخضراء النقيَّة، في فصلٍ من فصول (التراجيديا الريفيَّة)، حيثُ المزج بين الشَّجن والبكارة في فطريَّة الطبيعة.

والشَّاعر يأتي بالمزاوجة القرآنيَّة ليس على سبيل كونها صياغة جاهزة إيقاعيًّا، أو تحقيقًا لسلسلة التوقُّع المترتبة على: الاحتساء، ثمَّ الشراب، ثمَّ الطهور فحسب، بينما تتألَّقُ المزاوجة في الإشارة إلى دلالتها الأصوليَّة، فتتَّسقُ بذلك الصياغة مع الجو العام المخيِّم على التَّجربة الشعريَّة، ويُصبح من الطبيعي أن يأتي الشاعر بفعل الاحتساء على سبيل المشابهة بينه وبين أهل الجنَّة، وفي نفس الوقت يتحقَّقُ الموقفُ الدراسي (التراجيدي) الريفي بتحقيق الاحتساء على سبيل القلَّة، ثمَّ تمتزجُ الطهارة مع تلك الحالة المصاحبة لذلك المناخ الريفي.

وتُحقق المزاوجة بذلك بعدًا دلاليًّا آخر يُمثل منطقة اتساعٍ للمدى الرُّؤيوي لإيحاءات الألفاظ القرآنيَّة علاوة على ما أضافتْهُ من قيمٍ أسلوبيَّة في الصياغة.

أمَّا في مزاوجة الصفتين، فيقول محمَّد أبو دومة:

...

يَا مَنْ .. يَا مَنْ .. يَا مَنْ

قَالَ: تَجَاوَزْنَا

فَلْيَعْرِفنَا من يُنْكِرُنَا أَنَّا رُحَمَاءُ

و أَنَّا لِرَعَايَانَا حَفَظَهْ

وَكِرَامٌ بَرَرَةٌ

نُعْطِي إِذْ نُعْطِي بِسَخَاءْ [أبو دومة، 1983، ص63]

المزاوجةُ (كرام بررة) تردُّ إلى أُصوليتها في قوله تعالى: ﴿**كِرَامٍ بَرَرَةٍ**﴾ [سورة عبس: الآية: 15]، وتجيءُ في صياغتها القرآنيَّة تتمَّةً لسياق الآيات في إخبارها عن القرآن الكريم حتى قوله تعالى: ﴿**بأيدي سفرة**﴾ [سورة عبس: الآية: 16]؛ أي- "الملائكة الذين جعلهمُ الله تعالى سفراء بينه وبين رسله" [القرطبي، د. ت، ص2007]، والصفتان كرام، بررة، هما صفتان لموصوفٍ واحدٍ، اختلف لفظاهما ومعناهما ومع ذلك لم تفصل بينهما واو العطف، لتصبح الصياغة متفصلة للصفتيْن حتى تكاد تلصقهما مع بعضهما البعض لما بينهما من تقارُبٍ معنويّ، ويحتم الإيقاع الوقوف عند (بأيدي سفرة) حتى تتمتَّع التاء المربوطة بالسكون وتصبح قافية تشترك مع الآيتيْن قبلها وبعدها، لتكون المزاوجة (كرام بررة) هي الأخرى في سياقٍ إيقاعيّ منفصلٍ يؤهلها لأن يتجاوز إشعاعها الدلاليَّ والوجدانيَّ في الآية الكريمةِ إلى ما شكَّت به ذلك الحيِّزَ المضيءَ في الصياغة الشعريَّة، ثمَّ قول الشاعرِ (إنَّا لرعايانَا حَفَظَهْ) يستحضرُ في الذهن الإبداعيّ لفظَي المزاوجةِ تتمَّةً للإيقاعِ والتَّقفيةِ، وفي نفس الوقت تحملُ تلك المزاوجة ما تحملُ من دلالاتٍ مرتبطة أيضًا بدلالتها الأُصوليَّة، باعتبارها تُعبّرُ عن صفتيْنِ من صفاتِ الملائكة المطهّرين والذين "ينتسخونَ الكتب من اللَّوح" [الزمخشري، مصدر سابق، ص1682]، فهم "كرام على ربهم ... كرام عن المعاصي فهم يرفعون أنفسهم عنها ...، (بررة) مطيعون لله صادقون في أعمالهم". [القرطبي، مصدر سابق، ص2008]

والشاعر في حواره مع (الجاحظ) يُلحُّ على تواصل الأجيال، وعلى ذلك الفيض لرجال العلم على مدِّ أيديهم وعطائهم لهم بسخاء، وهو وإن لم يلتق معه مواجهة فلا سبيل للتواصل بينهما سوى ما خلَّفهُ (الجاحظ) من صحفٍ، وهنا منشأ العلاقة بين الدلالة الأُصُوليَّة والمتغايرة

للمزاوجة، ذلك بالإضافة إلى المثيرِ الجمالي في النَّسق، والبلاغي في الصياغة، لاحتواء المزاوجةِ على صيغتي جمع مردودتيْنِ على أيدي الملائكة كصفتيْنِ شاملتيْنِ، وكذا يُمكنُ ردُّهما إلى الملائكة إذا ما اقتصرت على الأيدي، إضافةً (سفرة) لتجيءَ (كرام بررة)، في آية أخرى مطلقة الدلالة، حتى وإنِ اقتصرت على الأيدي باعتبارها مصدر فعل الكرم والبر، ومن هنا أيضًا يحضرُ النَّشاطُ الدلاليّ للمزاوجة في التوظيفِ الشعري لتعبر بصورة مباشرة عن الجمع في دلالته المطلقة، لتبقَ المزاوجة خاصيتها البلاغيَّة الأصوليَّة، وتكون هي مصدرُ الإشعاع الجمالي في الصياغة الشعريَّة.

وهكذا تنهضُ مزاوجة الصّفة في تأثيرها الفعال على مقوماتٍ فنيَّةٍ عدَّةٍ تتمثَّلُ في: كونها صياغة جاهزة إيقاعيًّا، متفوقة بلاغيًّا من حيثُ تشكيلها غالبًا من صيغ الكثرة –المبالغة منها أو الجمع-، وذلك بالإضافة إلى إيقاعها النفسيَّ والمعنويَّ فيما حملت من دلالاتٍ، ثمَّ ما حملت من معانٍ إشاريَّة أُصوليَّة تحكم المنهج الشَّرعيَّ لنشاط التأثير بفعاليّته الأُصُوليَّة، وكون الوصفُ للمبالغة أو التعريف أو التأكيد فيما سبق من أمثلة، بالإضافة إلى نسقِ المزاوجة الجماليّ في صياغتهِ الأُصوليَّة تصبح مزاوجة الوصف اللفظيَّة من أُولى المزاوجات حضورًا في الصياغات الشعريَّة الحديثة، وفي نفس الوقت تستوعبها قصيدتها في غير موضعٍ إذا ما حتمت الضرورة الفنيَّة، ذلك طبقًا لنشاطِ الألفاظ وتوابعها المشكلة للمزاوجة.

المبحث الثَّالث: مزاوجة الحال

تقتربُ مزاوجة الحال من مزاوجة الصفةِ بدرجة أكبر من مزاوجة الاسم العلم، حيث طلاقة دلالة ذلك اللفظ المصاحب –المبيّن لصاحب الحال-، وفي نفس الوقت يمكن تقييد هذه الطلاقة بحالة محدَّدة وفق ارتباطها بصاحب الحال، فلا يبقى للَّفظ من فاعليَّته سوى الإشارة إلى المعنى الأصولي المصاحب لهذه الحالة.

ومثالُ ذلك قول صلاح عبدالصبور:

أَبْحَثُ عَنْكِ فِي مَقَاهِي آخِرِ الْمَسَاءِ وَالْمَطَاعِمْ

أَرَاكِ تَجْلِسِيْنَ جِلْسَةَ النداءِ الْبَاسِمِ

ضَاحِكَةً مسْتَبْشِرةْ

وَعِندَمَا تَهْتَزُّ أَجْفَانِي

وَتفلَتِيْنَ مِنْ خُيُوطِ الْوَهْمِ والدُّعاءْ

تَذوِيْنَ بينَ النُّورِوالزُّجَاجْ [عبدالصبور، 1981، ص16]

فالمزاوجةُ (ضاحكة مستبشرة) جاءت في قوله تعالى: ﴿**وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ* ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ**﴾ [سورةُ عبس: الآيتان: 38، 39]، والتركيب الإيقاعي للمزاوجةِ لم يتغيَّر في التوظيف الشعري رغم الاختلاف بين الرَّفع والنَّصبِ للفظ (ضاحكة)، فهي منونةٌ في الحالتيْن، وتسكينُ لفظ (مستبشرة) في نهاية الآية يتألقُ بنفس صياغته الإيقاعيَّة، رغم عدم حاجة الصياغة إلى القافية التائيَّة المربوطة على وجه الخصوص، فالمثيرُ هنا أقوى من كونه في حاجة للتقفية. فالمزاوجةُ في سياقها الأصوليَّة تحمل وصف هيأة لوجوهٍ مشرقةٍ مضيئةٍ كنور الصبح، ثمَّ هي ضاحكةٌ ومستبشرة، وإذا كانت المزاوجة في نشاطها التأثيري تحملُ هيأة الوصفيْنِ الأخيْرَيْنِ، إلَّا أنَّه يكمنُ في سياقها حالة الوصفِ الأولى للوجوه مع كونها مسفرة، أمَّا الوصفان الآخران فهما تتمَّة للصفات المتعدّدة ولا يُمكن فصل سياقها الدلالي عنهما، وبذا تحملُ المزاوجة دلالات وصفيَّة خاصَّة تشع بالنُّور الوجداني، والعبيرُ الروحاني المصاحب للضحك والبشر في وجوه بيضاء ناصعة كنور الصبح، وهذا التفوق الدلاليّ يحمل مثيرًا قويًّا للتعبير عن ذات الدلالة في الصياغة الشعريَّة.

ورغم أنَّ هذه الصفة مصاحبة لنتيجة عمل متقبلٍ من الله تعالى فيُفضي على أصحابها هذه الحالة من الرضا والطمأنينة في الصياغة الأُصوليَّة، إلَّا أنَّ ذات الصفة أمكن انتشار عبيرها الفوَّاح لتركَبَ الرياح الدلاليَّة وتحطَّ بين حروف الصياغة الشعريَّة وتصيرَ حالاً للمحبوبة، والتي قد تكون خيطًا من خيوط الوهم الآتية من عالمٍ مجهولٍ، قد يكونُ ذلك العالم الذي يشهدُ تلك الوجوه في دلالته الأصوليَّة، إلَّا أنَّه في نفس الوقت يمكن تقبُّلُ تلك الحاليَّة على أنَّها واقعٌ قائمٌ، ويسحبُ الشاعر عليه ذلك الوصف الحالي المبالغ،

فيستحْضرُ في نفوسنا بذلك نفس المشهد السَّماوي، غير أنَّ مردَّهُ في النهاية إلى: (مقاهي آخر المساء فالمطاعم)، وذلك ما يُؤكدُ قابليَّة مزاوجة الحال إلى الطلاقة الدلاليَّة للفظها شأنها في ذلك شأن مزاوجة الصفة.

وصيغتا المزاوجة تحكمها صياغة خاصَّة، الأولى (ضاحكة) تجيءُ على صورة اسم الفاعل فتفضي إلى المشاركة في الفاعليَّة والمفعوليَّة، ويتمتع فعلها بالتعدِّي، وشأنُ هذه الصيغة إفادتها معنى المغالبة، ذلك بالإضافة أيضًا إلى دلالتها على الزَّمنِ المستمر في حدوث الفعل (ضحك)، وهذه من شأنه أيضًا أن يضيف قوة مضافة للمعنى ومبالغة في حدوثه، ويتمتع لفظ (مستبشرة) كذلك بنفس خصائص اسم الفاعل المتمثلة في المبالغة واستمرار زمن حدوث الفعل، ومهما كانت وسيلة التعدي للفعل فقد حدث الاستبشار واستقر، وتألَّقتْ المغالبة في الصيغة زيادة في قوة المعنى وسلطويَّة المبالغة التي لا يمكن تجاوزها بلاغيًّا بعدما استحال ذلك دلاليًّا. ومن ثمَّ لم يكن غريبًا أن تفيضَ تلك المزاوجة القرآنيَّة بتلك الهالة من النور في الصياغة الشعريَّة.

المبحث الرَّابع: مزاوجةُ الإضافة

وهي تتكون من لفظين يكون الأول منهما مضافًا والثَّاني مضافًا إليه؛ أي- أنَّ التعريف واقع عن طريق الإضافة، وبذلك فإنَّ التوقُّعَ يصل إلى درجة من القوة تجعلُ درجة الارتباط بين اللفظيْنِ تصلُ إلى حدّ الإلزامِ الصياغي، وإلَّا ما كان ذلك النَّشاط التَّأْثيريّ.

ولا شكَّ أنَّ ذلك الإلزام يخضعُ إلى سلطويَّة اللفظ في وضعه الإشاريّ؛ أي- أنَّ الحضور اللفظيَّ هو حضور إشاريّ قبل أن يكون حضورًا دلاليًّا، ذلك الذي قد يتألَّقُ في خطوة تالية بعد حضور المزاوجة بالفعل، فقول أحمد الحوتي:

لو أنَّ كُلَّ يَمَامَةٍ هَجَرَتْ أَمِيْنَةْ

نَسِيَتْ أَمِيْنَةْ،

رَحَلَتْ عَلَى أغْصَانِ وَحْدَتِهَا

وَأَضْرَمَتْ الْمَدَى في ثَوْبِ وَحْشَتِهَا

وَصَارَ الْجُرْحُ هَمْزَتَهَا الْوَحِيْدَةْ

واجْتَبَتْهَا قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ

ما قَطَعَتْ شُعَيْرَتَهَا ولا انْتَبَهَتْ أَمِيْنَةْ! [الحوتي، 1985، ص14]

يتألقُ فيه حضور المزاوجة (قاصرات الطَّرف)، وفي حضورها نجدُ إضافة المصاحب إلى اللفظ الفعَّال، لوقوعه في أعلى درجات التوقع، على اعتبار اللفظينِ متكامليْنِ دون أدنى احتمال لمجيء لفظٍ آخر غير (الطرف) المضاف إلى (قاصرات)، ومن هنا ينبع النَّشاط الإشاري للمزاوجة ككل، ليأتي بعد ذلك النشاط الدلالي؛ أي- أنَّ الإضافة هي التي حكمت نشاط المزاوجة الكلي، وليس ثمَّة احتمال لنشاطٍ لفظيٍّ دلاليٍّ متفرِّدٍ لكلِّ لفظٍ داخل المزاوجة، فضلًا عن أنَّ المعنى لا يكتملُ إلَّا بمجيئهما معًا.

والأصوليَّة القرآنيَّة للمزاوجة تَأَتَّى في قوله تعالى:

- ﴿**وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ**﴾ [سورة الصافات: الآية: 48]
- ﴿**وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ أَتْرَابٌ**﴾ [سورة ص: الآية: 52]
- ﴿**فِيْهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ**﴾ [سورة الرحمن: الآية: 56]

ولفظُ (قاصرات) لم يأتِ في القرآنِ الكريم في غيرِ الصُّوَرِ الثلاثة السابقة؛ أي- أنَّهُ لم يأت متفردًا قط، ولا مقترنًا بأيِّ إضافة أخرى غير الطَّرف، ومن هنا تحمل المزاوجة أصوليّتها الإشاريَّة المتفردة، والتي تعني وصفًا لنساء الجنَّة على اعتبارهنَّ "نساءٌ قد قصرن طرفهنَّ على أزواجهنَّ فلا ينظرْنَ إلى غيرهم" [القرطبي، مصدر سابق، ص5524]، "ووحَّد الطرف مع الإضافة إلى الجمع؛ لأنَّهُ في معنى المصدر، من طرفت عينه تطرف تطرُّفًا، ثمَّ سميت العين بذلك فأدى عن الواحد والجمع" [القرطبي، مصدر سابق، ص5524]

والمزاوجة على هذا النحو تحملُ مدلولاً إشاريًّا إلى نساء الجنَّة في خاصيَّةٍ من خصائِصِهِنَّ، وقد تقفُ الإشارة عند حدود من يعمر الجنَّة إشارة إلى الجنَّة ذاتها، أو قد تتألق دلالة المزاوجة لتشع ما يحمله السياق القرآني من خصائص أخرى لأولئك النساء، فيحضرُ لفظ (عِينٌ)

بما يحمل من دلالة، وكذلك لفظُ (أَتْرَاب)، ثمَّ دلالة السياق المُثير إلى قصر بكارة أولئك النساء (الوجدانيَّة والجسديَّة) على أزواجهنَّ، وأخيرًا تبقى دلالة الطهارة في نشاطِ لَفْظَيِ المزاوجة.

والشاعر يقفُ أمام هذا كلِّهِ، تُراوغه المزاوجة بما تحملُ من مثيرات، إذا تجنَّبَ منها التقفية والإيقاع الموسيقي، يبقى في المقام الأول المدلول الإشاريَّ الذي يشي عن اصطفاء نساء الجنَّة (أمينةُ) الطفلة التي لم تتنبَّه لموتها هي إذا ما فاجأها فقدان الأُمومة، وبذلك تحمل الإشارة اللفظيَّة معنى الموت الجميل –إن صحَّ التعبير- للاتّساق المعنويّ بين الطفلة في براءتها وطهارتها، وكذلك نساء الجنَّة في طهارتيْنِ، ليكون ذلك مثيرًا آخر لتوظيف المزاوجة.

وحضور ذلك المدلول الإشاري في توظيف المزاوجة الشعريَّة يؤكده عدم إتيان الشاعر بأي صفة أخرى قد تكون مصاحبة للمزاوجة (قاصرات الطرف) مثل: (عين)، (أتراب)، البكارة في " لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ"، حيثُ قد يمكن في هذه الحالة أن تطير تلك الألفاظ المزاوجة إلى معانٍ ودلالات أخرى، قد لا تخدم المعنى المثار إليه بتحديد المزاوجة، ذلك أنَّ الجو النَّفسيّ المخيّم على التجربة هو الحزن، فليس ثمَّة ملائمة للحديث عن حُسْنِ أولئك النِّسْوة، بينما يبدو في المزاوجة وحدها غاية الشاعر ومراده، وهو الإشارة إلى ذلك (الموت الجميل) المتمثل في اصطفاء (قاصرات الطرف)، واللاتي يسْكُنَّ الجنَّة، وفي نفس الوقت يتمتَّعْنَ بالطَّهارة، حيثُ العنصر المشترك بينهم وبين الطفلة (أمينةُ).

ومن ثمَّ يمكنُ لمزاوجة الإضافة أن تتمتع بتجريديَّة الإشارة، وفي نفس الوقت تتمتَّعُ بطلاقة الدلالة، ويبقى بعد ذلك طريقة التوظيف لرؤية الشاعر.

وشأنها شأن المزاوجات القرآنيَّة، والألفاظ المفردة للقرآن الكريم، تتألق الخصائص البلاغيَّة والسمات الأسلوبيَّة الإعجازيَّة، فتقعُ المزاوجة بين صيغة الجمع النكرة (قاصرات)، حيث القيمة بالغة التعدُّد لأولئك القاصرات، وبين إضافة (الطرف) الواحد إليها، مما يُؤكد قوة الصفة في التقاء الجمع على واحد، ثمَّ يكون ذلك الطرف غير كونه اسمًا جامعًا للبصر [ابن منظور، 2007، ص168، فهو أيضًا "إطباق الجفن على الجفن" [ابن منظور، مصدر سابق، ص168]، فإذا ما كان الأول للطرف كان قصر الرؤية على الأزواج وحدهم، وكأنَّهنَّ لا يرين شيئًا غيرهم، وإذا ما كان المعنى الثاني قصر حركة الجفن على اعتبار مدى تلك الحركة في دنوها، دلالة على شدَّة الحياء والخجل النابع من طهارة خالصة.

واحتمال اللفظ لهذين التفسيريْن يزيد من قوة مدى اللفظ الدلاليَّة على اعتبار المعني الأول يشير إلى ملء العين بقصْرِ النَّظر على الزَّوج، فلا تبقى لتلك العين مساحة فارغة للنَّظر إلى شيءٍ آخر، وفي ذلك قوة في معنى الطهارة والإخلاص.

وفي المعنى الثاني تبدو البلاغة لدلالة أخرى في تحديد وظيفة العين ضمن ذلك الإطار، فكأنها لا تعمل سوى لرؤية ذلك الزوج فقط، فضلًا على ما تشي به الدلالة من حياءٍ فتكتملُ قوَّةُ الطهر والنَّقاء.

الخاتمة:

في ضوء دراسة تَعَدُّدِيَّةُ المزَاوَجَات اللَّفْظِيَّةِ القُرْآنِيَّةِ فِي الشِّعْرِ الْعربيّ، ومقاربتها أسلوبيًّا، توصَّلتُ الدراسة إلى مجموعة من النَّتائج نوجزها في الآتي:

جاءت صيغة المزاوجة اللفظيَّة القرآنيَّة بتميُزها الصياغي وبخضوعها لقانون التوقع لتواصل الاتصال الأُصولي في الصياغة الشعريَّة، ذلك فضلًا عن تفوقها البلاغي، وحضورها الدلالي، وكونها عنصرًا مشتركًا في التجربة الإبداعيَّة بين كل من المبدع والمتلقي باستحضار ظاهرة التوقع للفظ المصاحب بما يؤدي إلى الوصول إلى المعنى الدلالي والإيحائي من أقرب وسائله الإشاريَّة، كما ثبت ما لتعدّديَّة المزاوجة من خصوصيَّة صياغيَّة موسيقيَّة جاهزة يستدرُّ منها الشاعر الحضور الدلالي، والتفوق الصياغي.

المصادر المراجع:

القرآن الكريم

1. ابن منظور، لسان العرب، مادة طرف، دار صادر، بيروت، 2007م.

2. تفسير القرطبي، دار الشعب، القاهرة، د. ت.
3. أحمد الحوتي، أمينة تفتش في أمومتها، مجلة إبداع، العدد 4؛ لسنة 1985م.
4. حسن النَّجَّار، فصلٌ في التراجيديا الريفيَّة، النَّشيدُ الريفي، الهيأة العامَّة، القاهرة، 1985م.
5. الزّمخشري، تفسير الكشاف، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط3، 2009م.
6. صلاح عبدالصَّبور، شجر الليل، أبحثُ عن وردة الصقيع، دار الشروق، ط3، 1981م.
7. محمَّد أبو دومة، الوقوف على حدِّ السكين، بابٌ في فصل الأدب على العلم، الهيأة العامَّة القاهرة، 1983م.